تعليم الإناث في العراق ١٨٩٥-١٩١٨م

د. لمى عبد العزيز مصطفى (*)

تمهيد

لم يكن تعليم الإناث وحتى العقود الأولى من القرن العشرين بشيء يذكر، وكثيراً ما ارتبط تأخر الاهتمام بتعليم المرأة وبين النظرة الاجتماعية والمفاهيم الضيقة تجاه المرأة، بل وصل بالبعض إلى القول، بان تعليم المرأة سيجرها إلى المفاسد، لان الكتابة ان تعلمتها توصلت إلى أغراض فاسدة(١). ناهيك عن الموقف المتشدد لعلماء الدين والمحافظين، والذين هم المسؤولين عن توجيه السياسة التعليمية حتى أوائل القرن العشرين(٢).

(*) مدرس _ قسم التاريخ _ كلية الآداب / جامعة الموصل.

(١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٩١٧م)، (بغداد، ١٩٥٩)، ص٥٩.

(٢) إبراهيم حلمي العمر، "المرأة العراقية"، مجلة لغة العرب، جـ٢ ، آب، ١٩١٤، ص٦٤.

المبحث الأول

التعليم غير الرسمي للإناث في العراق

قبيل الدخول إلى البدايات الأولى لظهور التعليم الرسمي للإناث في العراق، لا بد لنا من الوقوف قليلاً عند أنماط التعليم التي كانت سائدة قبل تأسيس المدارس الحديثة واستمرت مع ظهور هذه المدارس ولفترة طويلة من الزمن، وتتمثل بـ :

أولا. الكتاتيب

تعدّ الكتاتيب أحد روافد التعليم المهمة التي سبقت تأسيس المدرس الحديثة، وكانت بمثابة مدارس أولية أوكل إليها مهمة تحفيظ القران الكريم أو تعليم القراءة والكتابة وضبط الأخلاق(٣).

لم يقتصر التعليم في الكتاتيب على الذكور فحسب، بل أوكل إلى بعض النسوة (الملايات) مهمة تدريس الفتيات مع بعض الاختلاف في طريقة التدريس، إذ كانت الفتيات يتلقين فيها الدروس في الأشغال اليدوية والمنزلية فضلاً عن الدروس الدينية(٤). وغالبا ما كان هذا النمط من التعليم مقتصراً على بنات الأسر

(٣) فاضل مهدي بيات، التعليم في العراق في العهد العثماني "دراسة تاريخية" في ضوء السالنامات العثمانية، القسم الأول، مجلة المورد، المجلد (٢٢)، العدد الأول، ١٩٩٤، ص ص٣٣ـ٣٤.

(٤) غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية، تطوره ومشكلاته، مطبعة الإدارة المحلية (بغداد، ١٩٧٠)، ٣٣.

المتوسطة، بينما كانت بعض الأسر الومسرة تخصص معلمين أو معلمات لتدريس بناتهم(٥).

ومن المفيد بالإشارة إلى انه لا توجد لدينا إحصائيات عن إعداد كتاتيب الإناث، لكن يمكن القول بان إعدادها كانت "قليلة جداً" بالنظر للنظرة الاجتماعية تجاه تعليم المرأة، وتمسك المجتمع العراقي وتزمته في الحفاظ على العادات والتقاليد التقاليد التي كانت سائدة آنذاك(٦).

ثانياً. المدارس الأهلية والأجنبية

كانت هناك مدارس خاصة يرتادها أبناء الطوائف الدينية الأخرى إلى جانب الكتاتيب، والتي تتدرج تحت نوعين من المدارس، النوع الأول (مدارس الإرساليات) التي حظيت بدعم الإرساليات التبشيرية، اما النوع الثاني، فهو المدارس التي اضطلع بتأسيس رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين واليهود، ونتيجة للسياسة التعليمية التي انتهجتها الدولة العثمانية والقائمة على عدم الاهتمام بتعليم الإناث، فقد ازداد إقبال البنات على الانخراط في صفوف هذه المدارس، وبغية إلقاء الضوء على الدور الذي اضطلعت به هذه المدارس فيما يتعلق بتعليم الإناث، سنكتفي بذكر أهم تلك المدارس.

(٥) الهلالي، المصدر السابق، ص ٦٠.

(6)Vital Cuinet, La Turquite de'Asie, Tom Troisieme, (Paris, 1894), p.19.

أ. المدارس التبشيرية

أخذت الدول الأوربية خلال فترة التنظيمات العثمانية (١٨٣٩-١٨٧٦) بحث الخطى في إيجاد أساليب لتوسيع نفوذها في الولايات العثمانية كان منها إرسال الإرساليات التبشرية، حيث برزت فرنسا في مقدمة الدول الأوربية تلك عندما أوفدت إلى العراق والبلاد العربية الكثير من الإرساليات، متخذة عدة وسائل لتحقيق أهدافها، كان التعليم أحد أهم واخطر تلك الوسائل، وفيما يخص تعليم الإناث أبدت هذه الإرساليات اهتماما استثنائيا بهذا الجانب اعتقاداً منها بـ"أنهن سيكن أمهات الجيل القادم وكسبهن يعني كسب المجتمع كله"[٧].

ابتدأ الكرمليون[٨] أول نشاط لهم في ميدان تعليم الإناث عندما قام هنري التماير Henri Altmayer رئيس البعثة الكرملية في بغداد سنة ١٨٦٨ بافتتاح أول مدرسة للإناث وعلى نفقته الخاصة[٩] أشرفت على إدارتها والتدريس فيها الراهبات المعروفات بـ " راهبات التقدمة Sister of Presentation " إذ كانت الطالبات يتلقين دروساً في اللغة العربية، اللغة الفرنسية، الرياضيات، الجغرافية، الموسيقى والرسم[١٠].

---

(٧) إبراهيم خليل احمد، "التحدي التبشيري" في موسوعة العراق في مواجهة التحديات، جـ٣، (بغداد، ١٩٨٨)، ، ص٢٩٢.

(٨) قدم الكرمليون إلى إيران بأمر من البابا كليمنت الثامن، ووصلوا إلى البصرة سنة ١٦٢٣م ثم انتقلوا إلى حلب سنة ١٨٣١م، واتخذوا داراً لهم ببغداد سنة ١٧٣١م. انظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ١٧٦٢-١٨٣٤، (النجف، ١٩٧٥)، ص٣٧٢.

(9) Habib Chiha K. Laprovince de Bagdad Son Pass Son Present, (Lęcairi, 1908), p. 104.

(10) Ibid.

كما قامت البعثة ذاتها بافتتاح مدرسة (ابتدائية) ثانية للبنات في بغداد وذلك سنة ١٨٧٧م، والتي لقيت إقبالا متزايداً من الإناث، إذ بلغ مجموع طالبات (٤٩٠) طالبة سنة ١٩٠٥[١١]. في حين تألف كادرها التعليمي من (١١) معلمة (٦) منهم من الراهبات[١٢]. ولم تختلف الدروس التي تلقتها طالبات هذه المدرسة عن المدرسة الأولى باستثناء بعض الدروس في الأشغال البيتية والتطريز والخياطة[١٣]. كما قامت الإرسالية ذاتها بتأسيس عدد من المدارس هدفها تعليم البنات بعض المهن البسيطة ومنها مدرسة اللاتين المسائية للإناث ومدرسة الصنائع للإناث[١٤].

اما بالنسبة لولاية البصرة فتأخر ظهور مثل هذه المدارس حتى العقد الأول من القرن العشرين، حيث قامت الإرسالية التبشيرية الفرنسية بافتتاح مدرستين للإناث في ولاية البصرة (المركز) وهي مدرسة راهبات التقدمة التي جرى افتتاحها سنة ١٩٠٦م، ومدرسة اللاتين للإناث سنة ١٩٠٧م[١٥].

---

(١١) سالنامة ولاية بغداد سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، ص١١٠. وعلى ما يبدو ان أعداد الطالبات الوارد في السالنامة رقم مبالغ فيه.

(١٢) عبد العزيز سليمان نوار، عوامل فعالة في الاتجاهات الفكرية والسياسية في العراق الحديث وأثره في تكوين الزعامة ١٨٧٢-١٩٠٩، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص١٢٨.

(13) Cuinet, Op. Cit., p.19.

(١٤) لمزيد من التفاصيل حول هذه المدارس وإعداد طالباتها وهيئاتها التدريسية، انظر: بدر مصطفى عباس، الحياة التعليمية في ولاية بغداد ١٨٦٩/١٨٢٦-١٩٠٩/١٩٢٧، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٧، ص١٢١. ومن الجدير بالذكر ان المدارس آنفة الذكر قد توقفت نشاطاتها وتقلصت إعدادها قبل الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨م، لتختفي نهائياً عند قيام الحرب العالمية الأولى، انظر: الهلالي، المصدر السابق، ص٢٠١-٢٠٢.

(١٥) العبيدي، المصدر السابق، ص٤٥.

وابتدأت إرسالية الآباء الدومنيكان[١٦] التبشيرية نشاطها في ميدان تعليم الإناث، عندما قامت الراهبات الفرنسيات بافتتاح مدرسة (أخوات المحبة) في الموصل وذلك سنة ١٨٧٣م[١٧]. حيث قامت بنصيب وافر من تعليم الإناث المسلمات والمسيحيات على حد سوء[١٨]، فضلاً عن تدريبهن على الأشغال البيتية كالخياطة والنقش والتطريز، ثم امتد نشاط الأخوات إلى بغداد، حيث فتحت مدرسة مماثلة سنة ١٨٨١[١٩].

كما نشطت في العراق إرساليات تبشيرية (بريطانية وأمريكية) إلى جانب الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية، فعلى سبيل المثال، أوردت المصادر قيام جمعية الكنيسة التبشيرية الإنكليزية بافتتاح مدرسة ابتدائية للبنات في ولاية بغداد وتحديداً سنة ١٨٩٧م، والتي بلغ مجموع طالبات عند افتتاحها (٣٦) طالبة[٢٠].

---

(١٦) كانت الإرسالية إيطالية في البداية ثم تسلمها الدومنيكان الفرنسيون سنة ١٧٥٠م، انظر: رؤوف، المصدر السابق، ص٣٣٠.

(١٧) يلاحظ على المدارس التي قامت هذه الإرسالية بافتتاحها في ولاية الموصل عدم اقتصارها على مركز الولاية بل تعدادها إلى الاقضية التابعة لها، ناهيك عن كونها مختلطة، لمزيد من التفاصيل حول المدارس التي قامت هذه الإرسالية بافتتاحها في ولاية الموصل، انظر: جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير، (بغداد، ٢٠٠١)، ص٢٧٧ـ٢٧٩.

(١٨) من المفيد الإشارة إلى ان هذه المدرسة كانت تضم (٦٠) طالبة، بينهم (٢٦) طالبة والأخريات مسيحيات كاثوليكيات. انظر: V.p. Duval, Lamission Des Domonicanin, A Mussoul, (Coponis, 1898). p.15.

(١٩) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، جـ١، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص٣٢٠؛ ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في ولاية الموصل أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير، كلية الآداب (جامعة الموصل، ١٩٩٧)، ص١٥٧.

(٢٠) سالنامة ولاية بغداد سنة ١٨٩٧/١٣١٥، ص١١٣، ومن الجدير بالذكر ان أعداد طالبات المدرسة قد بدأ بالتناقص حتى اختفى ذكرها من السالنامات الصادرة سنة ١٩٠٦م، انظر: عباس، المصدر السابق، ص١٣٠، في الوقت الذي يورد فيه مصدر آخر عن قيام الإرسالية ذاتها بافتتاح مدرسة للبنات في ولاية الموصل، لمزيد من التفاصيل حول هذه المدرسة ينظر: Cuinet, Op. Cit, p.78.

كما قامت الإرسالية العربية (The Arabia Mission)[٢١] وبجهود من أحد أعضائها وتدعى دورثي بافتتاح مدرسة للإناث في البصرة سميت (مدرسة الرجاءالعالي للبنات)[٢٢]، إلا ان هذه المدرسة سرعان ما واجهت بعض الصعوبات، إذ لم تلتحق بها سوى أربع طالبات إلا أنها ظلت تواصل عملها، فقد ازداد عدد طالباتها ليصل إلى (٣٠) طالبة، وركزت المدرسة في تدريباتها على مواضيع الاقتصاد المنزلي، رعاية الطفل، الصحة العامة، الخياطة، وغيرها من المواضيع التي تخص البنات[٢٣].

ب. مدارس الطوائف والأقليات الدينية

وهي المدارس التي تولت الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين مسؤولية إدارتها والإنفاق عليها، إذ انتهجت الدولة العثمانية سياسة قائمة على اعتبار كل طائفة من الطوائف الدينية (ملة) قائمة بذاتها فمنحتها امتيازات خاصة بها، من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة بها، شرط حصولها على رخصة رسمية بذلك[٢٤]، وكان أساس هذه المدارس دينية

(٢١) إرسالية تبشيرية بروتستانتية أسسها ١٨٨٩م، د. لانسنك (Lansing) أستاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت التابع للكنيسة الإصلاحية الهولندية وثلاثة من تلاميذه، وكانت فاتحة نشاطاتهم إقامة عدد من المقرات التبشيرية أولها في البصرة سنة ١٨٩١م، ومقرين فرعيين واحد في العمارة، والآخر في الناصرية والزبير، للتفاصيل انظر: عبد الملك خلف التميمي، التبشير في الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، (الكويت، ١٩٨٨)، ص٤٨؛

Moson A-Dand Barny F. J., The History of the Arabian Mission, (New york, 1926), p. 126.

(٢٢) حارث يوسف غنيمة، البروتستانت والانجليون في العراق، (بغداد، ١٩٢٢)، ص١٢١.

(٢٣) النجار، المصدر السابق، ص٣٧٣.

(٢٤) العبيدي، المصدر السابق، ص٤٥.

سرعان ما تحولت إلى مدارس حديثة تختلف مناهجها عن مناهج المدارس الحكومية[٢٥] وتلقى الدعم من أبناء الطوائف أو من القناصل الأجانب[٢٦]، كما ان غالبيتها كانت (مختلطة).

وقدر تعلق الأمر بالطوائف المسيحية (الكلدان، السريان، الأرمن) حيث قامت هذه الطوائف بافتتاح مدارس خاصة بها في كل من ولايتي بغداد والموصل، اما بالنسبة لولاية البصرة، فقد تأخر افتتاح هذه المدارس حتى أوائل القرن العشرين.

تعد مدرسة الأرمن الأرثوذكس للبنات أول مدرسة قامت الطوائف المسيحية بافتتاحها في بغداد سنة ١٨٩٢م[٢٧]، فقد بلغ مجموع طالبات عند افتتاحها (٤٥) طالبة، ارتفع العدد إلى (٧٠) طالبة سنة ١٩٠٩م[٢٨].

حيث كانت هذه المدرسة بمستوى المدارس (الابتدائية)، حيث تلقت طالباتها دروساً في تعليم الخياطة والتطريز والنقش، فضلا عن تعليم اللغة الفرنسية والعلوم الدينية[٢٩].

---

(٢٥) من المفيد بالإشارة إلى ان مناهج هذه المدارس اقتبست من المدارس الأجنبية داخل البلاد العثمانية أو البلاد الأجنبية نفسها وحسب العلاقات الدينية والمذهبية التي كانت تربط تلك الجماعات بتلك البلاد.

(٢٦) جمال أسد مزعل، نظام التعليم في العراق، (الموصل، ١٩٨٩)، ص٢٦.

(٢٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة وهيئاتها التدريسية وعدد طالباتها، انظر: عباس، المصدر السابق، ص١٢٥-١٢٦.

(٢٨) الهلالي، المصدر السابق، ص١٩٦؛ اختفى ذكر هذه المدرسة إذ لم نجد لها ذكر في سالنامات ولاية بغداد بعد ذلك التاريخ.

(٢٩) سالنامه نظارت معارف عمومية، ١٣١٧هـ اسطنبول، مطبعة عامرة، ١٣١٧هـ، ص١٤١٤-١٤١٧.

اما بالنسبة لولاية الموصل (المركز) فلم تذكر المصادر وجود مدارس خاصة بالإناث باستثناء بعض المدارس المختلطة، انخرطت فيها البنات الراغبات في التعليم والتي توزعت على الشكل الآتي:

مدرسة الطاهرة المختلطة (رشدية)[٣٠] بلغ مجموع طالباتها (٣٥٠) طالبة سنة ١٨٩٩م. أما مدرسة مار توما المختلطة للسريان الكاثوليك (رشدية) فقد بلغ عدد طالباتها وللسنة ذاتها (٧٠) طالبة، في حين ضمنت مدرسة الشاطية (ابتدائية) (٣) طالبات فقط.

أما فيما يخص الطائفة الكلدانية، فقد جرى سنة ١٩١٣م تحويل مدرسة شمعون الصفا الابتدائية للبنين في مدينة الموصل إلى المدرسة (رشدية) للبنين والبنات، حيث بلغ عدد طالباتها (٤٥) طالبة سنة ١٩٠٣م، فيما جرى افتتاح مدرسة ابتدائية مختلطة في كركوك وثانية في اربيل[٣١].

كما افتتحت ثلاث مدارس (ابتدائية) للبنات في عدد من قصبات الموصل، وهي مار شعيا، إذ تم تسجيل (٣٥) طالبة سنة ١٨٩٩م، في حين بلغ مجموع طالبات مدرسة كرمليس (١٥) طالبة وللسنة ذاتها، أما مجموع طالبات مدرسة تلكيف فبلغ (٥٠) طالبة وللسنة ذاتها[٣٢].

فيما افتتحت طائفة اليعاقبة مدرسة مختلطة واحدة حملت اسم (مدرسة مار توما المختلطة) وكانت (رشدية) حيث بلغت مجموع طالباتها (٣) طالبات فقط[٣٣].

---

(٣٠) تناظر هذه المدارس في مستواها المدارس (المتوسطة).

(٣١) النجار، المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٣٢) سالنامه نظارت معارف عمومية، مصدر سابق، ص ص ١٤١٤-١٤١٧.

(٣٣) المصدر نفسه.

أما الطائفة الموسوية (اليهودية) فقد أولى الاتحاد الإسرائيلي العالمي (الأليانس) Alliance Israclite Universelle[٣٤] أهمية كبيرة لتعليم الإناث، وقام بتأسيس عدد من المدارس الحديثة في ولاية بغداد منها مدرسة الأليانس[٣٥] للبنات التي جرى افتتاحها في بغداد سنة ١٨٩٣م، حيث لقيت هذه المدرسة إقبالا متزايداً من الطالبات بعد ان كان عدد طالباتها (٨٢) طالبة سنة ١٨٩٨م[٣٦]، ازداد عددهن حتى وصل (٦٠٠) طالبة سنة ١٩١٣م[٣٧].

هذا واستمرت الدراسة في هذه المدرسة حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٩١٧م[٣٨]، بالإضافة إلى مدرسة الأطفال المختلطة التي كان عدد طالباتها (٣٠٠) طالبة سنة ١٩١٣م، ومدرسة هارون صالح حيث بلغ مجموع طالباتها وللسنة نفسها (١٢٠) طالبة[٣٩].

أما ولاية البصرة فتم افتتاح مدرسة البصرة المختلطة سنة ١٨٨٩م، وبلغ عدد طالباتها للسنوات ١٨٩٨، ١٨٩٩، ١٩٠١، ١٩٠٣ هو على التوالي: ٩، ١٤، ١٤، ١٩ طالبة[٤٠].

---

(٣٤) الاتحاد الإسرائيلي العالمي (الاليانس): تأسس في باريس سنة ١٨٦٠م، كان له الدور الرئيسي في تعزيز النفوذ الصهيوني من خلال عدة وسائل كان التعليم أحد تلك الوسائل، للتفاصيل، انظر: فاضل البراك، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، دراسة مقارنة الدار العربية، (بغداد، ١٩٨٥)، ص٢٦.

(٣٥) من المفيد بالإشارة إلى اسمها تغير سنة ١٩١١م ليصبح مدرسة لورة خضوري للبنات.

(٣٦) سالنامه ولاية بغداد سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، ص١٦٧.

(٣٧) الهلالي، المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٣٨) عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٩٩)، ص٢٨.

(٣٩) الهلالي، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٤٠) النجار، المصدر السابق، ص٣٠٢-٣٠٣.

من خلال ما تقدم، ونتيجة للسياسات التعليمية العثمانية القائمة على إهمال التعليم الرسمي بشكل عام، وتعليم الإناث بشكل خاص، مما حدا بالراغبات بالتعليم الانخراط في صفوف المدارس الخاصة الأجنبية، حيث كانت هذه المدارس تولي اللغة العربية عناية خاصة فضلاً عن التشجيع من قبل إدارات هذه المدارس للطالبات، الذي قاد في نهاية المطاف إلى ارتفاع أعداد طالبات هذه المدارس حتى بعد افتتاح المدارس الرسمية في العراق، فقد ذكرت إحدى الإحصائيات التي تعود إلى سنة ١٩١٤م ان عدد طلبة المدارس الخاصة (٨٠٢٠) بنين و (٢١٦٣) بنات، أما المدارس الرسمية في العراق فكانت (٧٣٧٨) بنين و (٦٠٠) بنات[٤١].

(٤١) صالح فليح حسن، جغرافية التعليم الابتدائي، (بغداد، ١٩٧٩)، ص٥٢.

المبحث الثاني

مدارس الإناث الرسمية

١. مدارس الإناث الرسمية ١٨٩٥ـ١٩١٤

أ. المدارس الابتدائية للإناث[٤٢]

لم ينل التعليم الابتدائي في العراق أي اهتمام من الحكومة العثمانية حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر على الرغم من تأكيد قانون المعارف الصادر سنة ١٨٦٩ على ضرورة افتتاح مدرسة ابتدائية للإناث في كل ولاية أو قضاء وحسب الحاجة لذلك، وبالتالي لم يكن أمام الراغبات بالتعليم من وسيلة سوى الالتحاق بمدارس البنين الابتدائية أو الالتحاق بمدارس الإناث التابعة للإرساليات التبشيرية[٤٣] والتي سبق الحديث عنها.

أما أول مدرسة رسمية للإناث جرى افتتاحها في العراق فكانت في ولاية البصرة (المركز) سنة ١٨٩٥م[٤٤]، أعقبها افتتاح مدرسة ابتدائية ثانية للبنات في

(٤٢) أطلق العثمانيون تسمية (المكاتب) على المدارس الرسمية، في حين استخدموا تسمية (المدرسة) للدلالة على المدارس الدينية، العبيدي، المصدر السابق، ص٣٥.

(٤٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: نوفل نعمه الله نوفل،الدستور، م١، (بيروت، ١٣٠١هـ)، ١٦٠.

(٤٤) خلود عبد اللطيف اليوسف، البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦ـ١٩٠٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة البصرة، ١٩٩٢)، ص١٧١.

منطقة العشار سنة ١٩٠٢م[٤٥]. واستمرت الدراسة في هاتين المدرستين حتى الاحتلال البريطاني للبصرة سنة ١٩١٤م[٤٦].

كما نشطت الجهود الرسمية في ولاية بغداد بعد الانقلاب العثماني، لافتتاح العديد من مدارس الإناث، إذ جرى افتتاح (٤) مدارس رسمية، وهي: الكرخ، البارودية، باب الشيخ، حيث استمرت الدراسة في هذه المدارس حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٩١٧م[٤٧].

في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٤م جرى افتتاح مدرسة رابعة في بغداد حملت اسم مكتب (الاتحاد والترقي للإناث المسلمات) والذي استمرت فيها الدراسة حتى الاحتلال البريطاني لبغداد[٤٨].

كما شهدت ولاية الموصل هي الأخرى افتتاح أول مدرسة ابتدائية في محلة السرجخانة، بلغ عدد تلميذاتها (١٢٠) تلميذة[٤٩]، ليرتفع العدد

(٤٥) سالنامه ولاية البصرة سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، ص١٨٧. ومن الجدير بالذكر إلى ان عدد من المصادر تذهب الى التاكيد ان اول مدرسة للاناث جرى افتتاحها في العراق كانت المدرسة التي قام والي بغداد (نامق باشا) بافتتاحها سنة ١٨٩٩م، والتي عرفت باسم (اناث رشدية مكتبي)، الهلالي، المصدر السابق، ص١٥٨؛ فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، (موصل، ١٩٧٥)، ص١٢٥.

(٤٦) من المفيد بالإشارة إلى ان عدد تلميذات هاتين المدرستين لم يتجاوز (٣١) تلميذة سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، للتفاصيل، انظر: ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢١-١٩٢٧، جـ١، دار الطليعة (بيروت، ١٩٦٧ ، ص١١٦.)

(٤٧) بلغ مجموع تلميذات المدارس الثلاث (١٤٩) تلميذة سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م. انظر. سالنامة ولاية بغداد سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١، ص٧.

(٤٨) مجلة المعلم الجديد، "التعليم النسوي في العراق بين الامس واليوم"، جـ١، جـ٢، السنة ١٧، أيلول، ١٩٥٣، ص٥١.

(٤٩) الهلالي، المصدر السابق، ص١٨١. أما عن تاريخ افتتاح هذه المدرسة فلم تحدد المصادر التاريخية تاريخا محددا لافتتاح هذه المدرسة، ويبدو أنها افتتحت بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٢م.

إلى (١٤٠) تلميذة سنة ١٩١٢م[٥٠]. وفي سنة ١٩١٧م وصل العدد إلى (١٤٩) تلميذه[٥١].

ب. المدارس الرشدية للإناث

قدر تعلق الأمر بالمدارس الرشدية للإناث، وكما هو الحال بالنسبة للمدارس الابتدائية، فقد تأخر افتتاح هذا النوع من المدارس حتى سنة (١٨٩٦م)، حينما تم افتتاح أول مدرسة رشدية للإناث في العراق وتحديداً في ولاية الموصل[٥٢].

تلاها افتتاح مدرسة (رشدية) في بغداد، وبجهود من والي بغداد (نامق باشا) (١٨٩٩-١٩٠٢م)، إذ بلغ مجموع طالباتها (٦٧) طالبة سنة ١٩٠٠م[٥٣]، ليرتفع العدد إلى (٩٥) طالبة سنة ١٩٠١م[٥٤]، ثم إلى (١٣٧) طالبة سنة ١٩٠٣م[٥٥].

ومن المفيد الإشارة إلى ان مناهج الدراسة اشتملت على دراسة عدد من المواد بينها مبادئ العلوم الدينية، وقواعد اللغة العربية وعلم الحساب وأصول مسك

(٥٠) سالنامه ولاية الموصل، سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١-١٩١٢م، ص١٢٠.

(٥١) الهلالي، المصدر السابق، ص١٨١.

(٥٢) أرخ الهلالي افتتاح هذه المدرسة بسنة ١٣٢٦هـ/١٩١٨م في الوقت الذي نجد ان المتتبع لسالنامات الدولة العثمانية ومنها سالنامات نظارات المعارف ذكر لهذه المدرسة وعدد طالباتها وملاكها التدريسي قبل هذا التاريخ، انظر: الهلالي، المصدر نفسه، ص١٨١؛ س، ن، م، ع، سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، ص١٤٠٤.

(٥٣) المصدر نفسه، سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص٨٣.

(٥٤) سالنامه ولاية بغداد، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص١٢١.

(٥٥) المصدر نفسه، سنة ١٣١٢هـ/١٩٠٣م، ص١٠١.

الدفاتر ومبادئ الهندسة والتاريخ العثماني والجغرافية والرياضة، فضلاً عن بعض الدروس في الفنون البيتية والأعمال اليدوية[٥٦].

اتسمت هذه المدارس بقلة ملاكاتها التعليمية، فعلى سبيل المثال تألفت الهيئة التعليمية للمدرسة الرشدية للإناث في بغداد من (٣) معلمات ومبصرة واحدة[٥٧]. ومما يجدر ذكره ان المدارس الرشدية للإناث كانت تضم قسمين: الأول (ابتدائي) والثاني (رشدي).

أما بالنسبة للتعليم الإعدادي للبنات، فلم تكن سوى مدرسة إعدادية واحدة في بغداد جرى افتتاحها سنة ١٩١٤م[٥٨].

المعوقات التي واجهت تعليم الإناث

واجهت المدارس الرسمية لتعليم الإناث مجموعة من المشاكل، تقف في مقدمتها: قلة أعداد الطالبات الملحقات للدراسة في هذه المدارس، كنتيجة طبيعية

(٥٦) حنان عيسى الجبوري، مشكلات إدارة المدرسة القانونية في العراق، (بغداد، ١٩٧٠)، ص٦٧؛ فاضل مهدي بيات، (التعليم في العراق في العهد العثماني، دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية) ، القسم الثاني، مجلة المورد، المجلد (٢٢)، العدد(٢)، ١٩٩٤، ص١١.

(٥٧) سالنامه ولاية بغداد، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص١٠١؛ ومن المفيد بالإشارة إلى ان المبصر هو المأمور أو الموظف المكلف بتفتيش أو مراقبة أفعال الطلاب وحركاتهم والنظر في حسن أحوالهم، انظر: شمس الدين سامي، قاموس تركي، دار سعادت، ١٣١٧، ص١٢٧٠.

(٥٨) وردت الإشارة إلى هذه المدرسة وبشكل مقتضب، انظر: إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢م، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، (البصرة، ١٩٨٢)، ص٥٨؛ عباس، المصدر السابق، ص٨١.

لعدد من الأسباب منها النظرة الاجتماعية الضيقة تجاه المرأة وتعليمها[٥٩]. وبالتالي تردد الأهالي في إرسال بناتهم إلى المدارس، فضلاً عن موقف علماء الدين المتشدد من تعليم الإناث، حيث أدت هذه الشريحة دوراً كبيراً في توجيه السياسة التعليمية في العراق حتى أوائل القرن العشرين، بالإضافة إلى الاتجاهات المتشددة للقائمين على شؤون التعليم تجاه تعليم المرأة[٦٠].

أما المشكلة الأخرى التي واجهت تعليم الإناث في العراق فيمكن إيجازها، بقلة الكادر التعليمي من المعلمات اللواتي يمكن ان تناط بهن مهمة التدريس في مدارس الإناث من جهة، وصعوبة استقدام المعلمات التركيات من جهة أخرى[٦١].

لفت الوضع المزري لمدارس الإناث أنظار المثقفين العراقيين، ففي إحدى مقالاته دعا (عبد اللطيف ثنيان)[٦٢] إلى الاهتمام بمدارس الإناث وزيادة عددها لأهمية ذلك في حياة الأسرة العراقية[٦٣]، أعقبها دعوة الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) بضرورة تعليم المرأة وتحريرها من القيود الاجتماعية[٦٤]. كما انبرى

(٥٩) عباس ياسر، "صفحات مطوية من تاريخ المرأة في العراق"، مجلة بين النهرين، السنة الثالثة، العدد الخامس، (الموصل، ١٩٧٧)، ص٤٨ـ٤٩.

(٦٠) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٦١) الهلالي، المصدر السابق، ص١٦١.

(٦٢) عبد اللطيف ثنيان، صحفي رائد وأديب، ولد في بغداد سنة ١٨٦٧م اصدر في سنة ١٩٠٩م جريدة الرقيب، توفي سنة ١٩٤٠م، انظر: حميد المطبعي، موسوعة إعلام القرن العشرين، جـ٢، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩٩٦)، ص١٥٠.

(٦٣) للاستزادة، ينظر: عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب، "جامعة بغداد"، ١٩٩٠، ص١٣٧.

(٦٤) طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ص٧٦ـ٧٧.

(سليمان فيضي) في دعوته إلى إنشاء مدرسة للبنات في البصرة " لان مكتب الإناث في البصرة لم يزل اسماً بلا جسم وان المحل المعين له لا يمكن ان تسكنه الحيوانات ... لعدم انتظامه، ولا تسأل عن المعلمات لأنهن يليق بهن ان يكن عوض عمن يدرسهن لعدم دراينهن"[٦٥].

لم يطرأ أي تغيير على السياسة التعليمية للدولة العثمانية والقائمة على إهمال تعليم الإناث في العراق، وليس أدل على ذلك ان من بين (١٦٠) مدرسة ابتدائية والتي كانت موجودة في عموم العراق عشية الحرب العالمية الأولى كانت حصة مدارس الإناث فيها (١٣) مدرسة، منها (٧) مدارس في ولاية بغداد، و (٤) مدارس في ولاية الموصل، ومدرستان في ولاية البصرة، بلغت أعداد طالباتها (٧٥٦) طالبة فقط، توزعت على الشكل الآتي: (٥٤٠) طالبة في ولاية بغداد، و (١٨٥) طالبة في ولاية الموصل، و (٣١) طالبة في ولاية البصرة[٦٦].

تعليم الإناث إبان فترة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤–١٩١٨

لم تبد سلطات الاحتلال البريطاني أية أهمية لتعليم الإناث، حيث تجاهلت فتح مدارس الإناث التي كانت موجودة في العهد العثماني، وقد عللت ذلك بعدم الحاجة إلى استخدام الإناث في دوائر الحكومة، وعدم توفر العدد الكافي من المعلمات[٦٧]، وبالتالي اقتصر تعليم الإناث على بعض المدارس الأهلية والأجنبية

(٦٥) سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٨)، ص١٠٥.

(٦٦) الحصري، المصدر السابق، ص١١٦.

(٦٧) صبيحة الشيخ داود، أول الطريق إلى النهضة النسوية، مطابع الرابطة، (بغداد، ١٩٥٨)، ص٤٨.

ومنها المدرسة الأمريكية (مدرسة الرجاء العالي)، التي تولت الإشراف عليها دورثي، حيث قدمت سلطات الاحتلال منحة قدرها (١٢٠٠) روبية[٦٨] سنوياً، فيما أسست مدرسة أخرى للإناث بإشراف الراهبات الكرمليات[٦٩]. فقد سمح للصبيان الصغار الدوام فيها[٧٠]، في حين انتظمت في الدراسة في المدرسة الابتدائية في القرنة بشكل يسمح بدوام الإناث في المدرسة، إذ فتح صف لدوام الإناث والصغار، أما الأولاد الكبار فيسمح لهم بالدوام بعد الظهر[٧١].

وأمام المتكررة للأهالي بفتح مدارس للبنات، لجأت سلطات الاحتلال إلى افتتاح المطالب بعض المدارس ابتدائية الرسمية للبنات، وبقدر تعلق الأمر بولاية بغداد جرى في حين تألف ملاكها التدريسي من مديره ومعلمة واحدة فقط. أما عن طبيعة الدروس التي كانت تدرس في هذه المدرسة، فاشتملت على القراءة والكتابة والخياطة والتطريز[٧٢]. ثم جرى افتتاح مدرسة ثانية للإناث في الديوانية[٧٣]، وباستثناء هاتين المدرستين لم تذكر المصادر وجود مدارس أخرى.

---

(٦٨) الروبية: عملية هندية تساوي (٧٥) فلساً عراقياً.

(69)Reports of Administration for 1918 of Division and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia, Vol. 1, (Calcutta, 1918), p. 254.

(٧٠) جريدة العرب (بغداد)، العدد(١٢٠) في ٣١ كانون الأول ١٩١٧م.

(٧١) حميد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٦٧؛

Reports of Administration, Op. Cit., p. 307.

Ibid, p. 190.

(72)Reports of Administration, Op. Cit., p.190

(73) Ibid, p. 205.

كما جرى افتتاح أول مدرسة ابتدائية أهلية للإناث في سنة ١٩١٨م عرفت باسم (زهرة خضر الأهلية للبنات) حيث التحقت للدراسة فيها (٦٠) تلميذة، انتظمن في ثلاث صفوف دراسية[٧٤].

واضطلعت المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف بدور في مجال التعليم النسوي ومنها على سبيل المثال لا الحصر مدرسة البنات اليهوديات التي افتتحتها الطائفة الموسوية (اليهودية) في بغداد سنة ١٩١٧م[٧٥].

أما فيما يخص ولاية الموصل أبان فترة الاحتلال البريطاني، فمن المعروف ان مدارس ولاية الموصل لم ينالها التخريب الذي لحق المدارس العراقية في المدن الأخرى أبان فترة الحرب، وذلك للظروف الخاصة المعروفة في كيفية دخول الإنكليز إلى المدينة في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨م، إذ كانت هناك (٣) مدارس خاصة بالإناث هي: مكتب الإناث المركزي، مكتب تدريس نمونة، مكتب هدايت العرفان، والتي بادرت سلطات الاحتلال إلى إغلاقها بعد ان استكملت احتلالها للواء الموصل، في حين استمرت الدراسة في عدد من المدارس الأجنبية والأهلية التي كانت موجودة في العهد العثماني ومنها مدرسة شمعون الصفا ومدرسة الطاهرة ومدرسة مار توما وعدد آخر من المدارس[٧٦].

---

(٧٤) العبيدي، المصدر السابق، ص٦٧.

(٧٥) جريدة العرب (بغداد)، العدد (٤) في ٢ أيلول ١٩١٧.

(٧٦) لمزيد من التفاصيل حول الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال فيما يخص التعليم في هذه الولاية، انظر: عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ص ١١٠-١١٥.

الخاتمة

يعد هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على المحاولات الأولي لتأسيس مدارس الإناث في العراق، حيث أرجأت المصادر التاريخية أولى تلك المحاولات إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، فيما عزت مصادر أخرى سبب تأخر إنشاء مثل هذا النوع من المدارس إلى طبيعة المجتمع العراقي المحافظة آنذاك، ناهيك عن افتقار العراق إلى الكوادر أو الهيئات التعليمية المؤهلة لإدارة هذه المدارس، فضلاً عن صعوبة استقدام الكوادر التعليمية التركية.

كما سلط هذا البحث حيزاً من اهتمامه على الدور الذي اضطلعت به عدد من المدارس الأهلية والأجنبية التي كان لها دور كبير في النهوض بأعباء تعليم الإناث في العراق قبل وبعد افتتاح المدارس الرسمية للإناث في العراق.